المبحث الأول

النافذة الديموغرافية في العراق

المقدمة

يعد العراق من الشعوب الفتية من حيث السكان اذ ترتفع فيه معدلات الطفولة والشباب وهذه السمة جاءت نتيجة مجموعة متغيرات وظروف عاشها المجتمع العراقي، ولعل كانت ابعاد الظروف والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مؤثرة على الواقع السكاني للعراق، وخاصة في التوليفة السكانية للعراق سيما في العقود الثلاث الماضية إذ كانت الأكثر بعداً على النمو السكاني والتوزيع الديموغرافي لسكان العراق، ارتأينا ان نبحث في مورفولوجية سكان العراق في العقود الثلاث وذلك للظروف الاستثنائية لهذا البلد.

نبذة عن العراق وظروفه التاريخية وعلاقتها بحياة السكان وتوزيعهم

كان العراق وطنا للإنسان منذ أقدم العصور الحجرية فقد وجد في كهوف المنطقة الجبلية مثل كهف (شاندور) بقايا للإنسان مع أدواته الحجرية، ولعله يرجع للإنسان الذي سبق الإنسان الحديث ويعتقد بانه يعود إلى رجل (النياندرتال) ووجدت آثار للإنسان تعود إلى حوالي عشرة الاف سنة قبل الميلاد، في مناطق عديدة من العراق كـ (زاخو، والسليمانية، وعقرة، وجمجمال) وهي مناطق تمثل شمال العراق، وتدل الآثار على أن سكان هذه المناطق ينتمون للإنسان (الكرومانيون) الذي هو أصل ما يسمونه العرق القوقازي (الأبيض) الذي ينتمي اليه العراقيون[1]، وكلما تقدم الزمن كلما زادت الهجرة إلى ارض العراق وزاد الاختلاط بسكانه لذلك فان الدراسات الانثربولوجية لا تشير إلى وجود عرق واحد في العراق، وإنما قطنه عدد من الأقوام بسبب الهجرة اليه والاختلاط بسكانه، وان هذا الاختلاط لم يتم على درجة واحدة، ففي السهول كانت نسب الاختلاط بشكل كبير وفي المناطق الجبلية كانت

(1) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الاول، تاريخ العراق القديم، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، 1955، ص 34-36.

الجبال حواجز عازلة في وجه الاختلاط السريع، ونحن نعلم أن الجنس هو (احدي المجموعات من السكان التي تكون نوع الإنسان العاقل)[1].

تقع العراق في منطقة الشرق الأوسط في القسم الغربي من قارة آسيا، يحده من الغرب الأردن وسوريا، ومن الشمال تركيا ومن الشرق إيران، ومن الجنوب الكويت والسعودية والخليج العربي، حدود الدولة الكلية: 3454 كلم؛ منها: 1458 كلم مع إيران و495 كلم مع المملكة العربية السعودية (منطقة محايدة) و134 كلم مع الأردن و240 كلم مع الكويت و605 كلم مع سوريا و331 كلم مع تركيا.

- المساحة الإجمالية: 438317 كلم2.
- مساحة الأرض: 437357 كلم2.
- طول الشريط الساحلي: 58 كلم.
- أهم الجبال: زاغروس، كردستان، سنجار.
- أعلى قمة: قمة بيجان (3560م).
- أهم الأنهار: دجلة، الفرات (2740 كلم)، كارون.

- المناخ: يختلف المناخ من منطقة إلى أخرى؛ فالمناطق الغربية والغربية الجنوبية مناخها صحراوي قاري شديد الحرارة صيفاً وبارد قليل الأمطار شتاءً، والمناطق الوسطى والجنوبية ذات مناخ حار صيفاً معتدل الحرارة شتاءً وأمطاره أكثر غزارة من سابقتها.أما المناطق الشمالية فمعتدلة الحرارة صيفاً وغزيرة الأمطار شتاءً مع تساقط الثلوج فوق المرتفعات وأحياناً تسقط الأمطار في فصل الصيف، يتألف سطح العراق من سهول دجلة والفرات، كما توجد مستنقعات في الجنوب الشرقي.وتقع المرتفعات الجبلية في شمال شرقي البلاد على الحدود مع إيران وتركيا[2].إن الطبيعة الجغرافية والمناخية للعراق لعبت دوراً حاسماً ليس في تاريخه بل حتى في تكوين مجتمعه. وكما يقال عن مصر أنها "هبة النيل" فان العراق "هبة الرافدين" فلولا دجلة والفرات لما وجد وطن اسمه العراق، كان من المؤكد أن يصبح جزءاً من الأوطان المجاورة.

أما رسمياً، فإنَّ العراق الذي تشكلّ حدوده التخوم النهائية للبلدان العربية في قارة آسيا، هو بلدٌ يقع في جنوب غرب هذه القارة. لكنه يكون أقصى الشرق لبلاد

(1) يوسف ابو الحجاج و محمد محمود الصياد، ما هو الجنس، مطبعة العالم العربي، القاهرة، بدون سنة نشر، ص 76

(2) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، المصدر السابق، ص 34-36.

العالم العربي، فتحده أكثر من ألف كيلومتر شرقاً مع إيران. بينما تشكلّ حدوه الشمالية مع تركيا الحدّ قبل الأخير لقارة أوربا، وهو يقف في الجنوب على رأس الخليج بمشاركة إيران. فيما تحده من الغرب سوريا والأردن والسعودية والكويت بالتتابع. وعلى الرغم من أن العراق يملك نهرين عظيمين يشكّلان على طول امتدادهما وادياً ظل مسرحاً للحضارات البشرية الأولى التي نشأت وازدهرت على أرض ما بين النهرين، كما مر بنا في الفصل السابق، فإن هذا السهل محاط بسلاسل جبلية من الجهتين الشمالية والشمالية الشرقية والتي يصل ارتفاعها إلى حوالي (3550) متراً فوق مستوى سطح البحر، تشكل ما نسبته (5 %) من مساحة العراق الكلية، مثلما هو محاط بصحراء شاسعة، تقع في الغرب والجنوب وتشكّل ما نسبته حوالي (40 %) من مساحته الكلية(1).

لقد تأثر توزيع سكان العراق بعوامل كثيرة ومتشابكة أهمها :

1- وجود الأراضي الزراعية التي لها مورد مائي دائم، ويظهر ذلك جليا اذا نظرنا إلى خارطتي توزيع الأراضي الزراعية، وتوزيع السكاني.
2- مراكز إدارية فقد ادى اختيار بعض المدن لتكون مركزا للإدارة (كمركز القضاء) ادى إلى تجمع وتمركز السكان فيها، نظرا لتجمع دور الحكومة ومعاهد التعليم وغيرها من المعالم، وتعد بغداد خير مثال على ماذكر في السطور السابقة إذ شهدت توسعا سكانيا لاختيارها عاصمة للبلاد وتجمع جميع اجهزة الدولة الرئيسية فيها وكذلك المراكز التجارية والصناعية الكبرى فضلا عن المعاهد والكليات العلمية الامر الذي جذب إليها اعدادا كبيرة من السكان لأغراض مختلفة.
3- مراكز المواصلات، فقد نشأت بعض القرى ولالمدن وتوسع بعضها بعد أن مدت اليها أو مرت بها طرق مواصلات حديثة كالسكك الحديدية، وطرق السيارات المعبدة، كمدن (الرطبة، والفلوجة، وخانقين، والبصرة).
4- العوامل الدينية، فقد تجمع السكان في بعض مدن العراق المقدسة، نظرا لوجود العتبات المقدسة فيها التي يزورها في مواسم كثيرة من جميع أطياف سكان العراق وبعض الدول المجاورة،ولا ينكر ما لهذه الزيارات

(1) علي جواد كاظم وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، العراق، 2004، ص123.

من اثر في تنشيط التجارة وغيرها من الخدمات، ومن هذه المدن (الكاظمية، والاعظمية، وكربلاء، والنجف الاشرف)

5- الموقع الجغرافي، كوقوع مدن على حدود منطقتين مختلفتين في الانتاج، كالمدن الواقعة بين السهل الرسوبي والهضبة الصحراوية، أو المدن الواقعة بين المنطقة الجبلية والسهل الرسوبي ومن هذه المدن (الرمادي، كركوك، الزبير).

6- عوامل إستراتيجية، كقيام بعض المدن لتحكمها في ممرات ومنافذ جبلية كما هو موجود في شمال العراق [1].

اثر العوامل الاجتماعية على توزيع السكان في العراق.

من المعلوم أن تباين السكان بين أي منطقة وأخرى على سطح الارض يتوقف على العوامل الجاذبة أو الطاردة للسكان في كل منها،إذ يختلف توزيع السكان بين مختلف انحاء العراق تأثرت بالعوامل الاجتماعية المتمثلة (العامل الديني، والعامل الثقافي، والاداري).

1- **العامل الديني:** تظهر اثر هذا العامل بشكل واضح في بعض المدن وتطورها وذلك بوجود المراقد المقدسة التي يتردد عليها في كل سنة عشرات الالوف سواء من داخل العراق أو خارجه لزيارة هذه المراقد ودفن الموتى في هذه المدن لقدسية المكان، وان تردد الاعداد الكبيرة من السكان على مثل هذه المدن يتطلب توفير الخدمات والحاجات والسلع التي التي يطلبونها وكان ذلك عاملا مهما في زيادة النشاط التجاري الذي نلحظه في اسواق هذه المدن وتوفير مجالات عمل أكثر فيهاما ادى إلى وجود عدد أكثر من السكان فيها وزيادةتهم بصورة مستمرة تبعا لزيادة النشاطات الاقتصادية في المدن المذكورة،واهم هذه المدن (كربلاء، والنجف، والبصرة، الكاظمية والاعظمية، ونينوى..وغيرها)[2].

2- **العامل الثقافي:** يعتبر العامل الثقافي من العوامل التي تلعب دورا بارزا في تركز السكان في بعض المدن وهو عامل مؤثر في توزيع السكان، إذ أن تأسيس الجامعات والمعاهد في (بغداد، والبصرة، والموصل،

(1) هستد كوردن، الأسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة:جاسم محمد خلف، جغرافية العراق، دار المعرفة، مصر، 1948، ص 242.

(2) جاسم محمد خلف، جغرافية العراق، دار المعرفة، مصر، 1965، ص 242.

والسليمانية)، وغيرها من المدن العراقية إذ يفد إليها الالاف من الطلبة ليقضوا فيها سنوات الدراسة الجامعية أن مثل هذه المراكز الثقافية وغيرها من المعاهد العسكرية والدينية... ساعدت على زيادة عدد السكان في المدن الموجدة فيها.

3- **العامل الإداري:** من أهم العوامل التي أثرت في استيطان سكان العراق وتوزيعهم فكثير من المدن بفضل تصنيفها اداريا بأنها مركز للمحافظة زاد عدد سكانها بفضل هذه الميزة الادارية، ومدن اخرى اتخذت مراكز للاقضية والنواحي نتيجة لتوفر فرص العمل في مجالات مختلفة فيها، إذ أن المدن المركزية بحكم وظيفتها يتردد عليها عدد كبير من السكان من جميع محافظات القطر لانجاز معاملاتهم الرسمية او غير الرسمية وغيرها من الخدمات، جعلت من تلك المدن مليونية في عدد سكانها. [1]

أبعاد الظروف الاجتماعية والسياسية على النمو السكاني في العراق.

كانت التغييرات في البنية السكانية للعراق ناتجة عن الظروف السياسية والاجتماعية التي مرت بها عبر سنوات طويل غيرت في التركيب الهيكلي والتركيب العمري لسكان العراق قبل الدخول إلى هذه الظروف لابد منا الإشارة إلى النمو السكاني في العراق وفقا للإحصاءات الرسمية، تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن العراق أجرى سبعة تعدادات رسمية، إذ بدا أول تعداد سكاني للعراق في عام (1935) بلغ عدد السكان آنذاك حوالي (2968054) نسمة أي ما يقارب (3) ملايين نسمة، وكان التعداد الثاني في عام (1947) بلغ عدد سكان العراق فيه (4816181) نسمة أي ما يقارب (5) ملايين نسمة، وبلغ عدد سكان العراق فيلا التعداد الثالث عام (1957) حوالي(6339960) نسمة، وفي عام (1965) اجرى العراق التعداد الرابع وبلغ عدد سكانه (8209723) نسمة، وفي عام (1977) أجرى العراق التعداد الخامس وهو الاكثر تنظيما من التعدادات السابقة وبلغ سكانه حوالي (1234520) نسمة، وفي عام (1987) وبعد سنوات حرب طويلة قرر العراق إجراء تعداد سكاني اخر وبلغ عدد سكانه حوالي (1609436) نسمة، وأخيرا وفي عام (1997) في سنوات شداد على سكان العراق بسبب ويلات حرب الخليج والحصار الاقتصادي الذي فتك بسكان العراق بلغ عدد سكان العراق حوالي (2804589) نسمة حسب إحصاءات جهاز التخطيط المركزي [2].

(1) المصدر نفسه، ص242.

(2) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، 1998.

تشير التعدادات السكانية إلى زيادة في عدد سكان العراق بين تعداد وأخر ومن وجهة نظرنا يعود ذلك إلى مجموعة من العوامل أهمها:

- أن العراق بلد إسلامي وان ما يقارب 97% من سكانه هم مسلمين وبما أن التشريعات الإسلامية تشجع على زيادة الإنجاب وتمنع حالات الإجهاض وقتل الأطفال الأجنة.
- أن التشريعات السكانية في العراق هي تشريعات مشجعة للإنجاب قد اصدر العراق تشريعات تشجع على زيادة الإنجاب إذ أصدرت الحكومة العراقية قرارين رقميهما (881 و 882) بتاريخ 1987/11/29. ينص الأول على منـ الزوج الموظف مخصصات عائلية مقدارها (25) دينار شهريا إذا أنجبت زوجته مولود ها الرابع وينص الثاني على منـ إجازة الأمومة للام الموظفة براتب للأشهر الستة الأولى وبنصف راتب للأشهر الستة التالية[1].
- العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة في المجتمع العراقي تشجع الإنجاب إذ يعد الطفل من أولويات الزوجين سيما في السنة الأولى من الزواج.

إنّ متوسط الكثافة السكانية لا يعني شيئاً بحد ذاته، فالعراق الذي تكوّن الصحراء ما يقارب (40%) من مساحته، كما سبقت الإشارة، يتمركز سكانه بأعداد ضخمة في وادي الرافدين والشريط الضيق الممتد بمحاذاة النهرين. ويبلغ معدل الكثافة السكانية حسب تقديرات عام (2000) ما يقارب (53) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد. وهي نسبة معتدلة بحسب التقديرات الإحصائية. لكن هذه النسبة لا تشكل حقيقة الكثافة السكانية في العراق الذي يتركز السكن فيه في مدن الوادي، إذ يرتفع الرقم إلى (500) نسمة في المناطق الشديدة الكثافة (مثل بعض مدن وأحياء العاصمة بغداد ومدينتي البصرة والموصل) ويصل العدد إلى (234) نسمة في المناطق الكثيفة السكان (كما هو حال مراكز المدن العراقية عموماً)، إن العراق تحول في (40) عاما (1947-1987) من كون ثلث سكانه من المقيمين في المدن إلى كون ثلثيهم في هذا الوضع. وتشير بعض التقديرات إلى انتقال (70 %) من العراقيين إلى تجمعات تضم أكثر من (5) آلاف نسمة عام 1985. غير أن الانتقال تم بوضوح لمصلحة المدن ذات النشاط الاقتصادي العصري (بغداد، البصرة، كركوك، الموصل) على حساب المدن ذات النشاط الاقتصادي التقليدي (الانبار، ميسان، المثنى). ويمكن القول بأن العراق، ومنذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، كان يقسم وبصورة تقريبية، إلى ثلاث مناطق رئيسية بحسب التوزيع العرقي والطائفي. فغالبية الشيعة يوجدون في المحافظات التي تقع جنوب بغداد، فيما يوجد غالبية السنّة في

(2) جريدة الوقائع العراقية، العدد (3179) في 1987/12/7 .

المحافظات التي تقع شمال وشمال غرب بغداد، أما الأكراد فإن غالبيتهم موجودون في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية، في حين تلتقي هذه المناطق الدينية الثلاث وتتداخل في بغداد الكبرى ومحافظة ديالى شرق بغداد[1].

المبحث الثاني

بانوراما العنف والحرب في العراق

يشترك العراق مع الدول أخرى في الشرق الأوسط في عدة خصائص منها النمو السكاني السريع، نتيجة معدلات الخصوبة العالية، وتشهد بعض الخصائص الأخرى على ماضي العنف في الدولة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وتجمع هذه الخصائص بين الحرب العراقية الايرانية، وحربي الخليج الأولى والثانية، والحصار الاقتصادي، والاحتلال الأمريكي، بالإضافة الى المشاكل الداخلية التي انعكست سلبا على سكان العراق.والجدول أدناه يبين النمو السكاني للعراق منذ التعداد السنوي الأول عام 1957، لغاية عام 2007[2].

جدول رقم (1)

يبين النمو السكاني لسكان العراق

السنة	حجم السكان بالمليون	النسبة المئوية للنمو السكاني %
1957	299،6	9،2
1965	047،8	1،3
1977	100،12	3،3

(10) علي جواد كاظم وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر، مصدر سابق، ص127.
(2) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، 2004.